إنجيل يهوذا، كتاب غنوصي

الأب نجيب ابراهيم

في السابع من شهر نيسان الماضي عرض متحف «ناشيونال جيوغرافيك ميوزيوم» سبع صفحات من مخطوط مصري قديم يتألف من ٦٦ صفحة باللغة القبطية ويتضمّن: الرؤيا الأولى ليعقوب؛ رسالة بطرس الى فيليبس؛ أجزاء من كتاب "أللوجنس"، وهو من هراطقة القرن الثالث بعد المسيح، وإنجيل يهوذا. كان إنجيل يهوذا معروفا لدى آباء الكنيسة الذين دافعوا عن الإيمان القويم ضد الغنوصية، ونذكر منهم إيرينيوس من "ليون" (فرنسا) في مؤلّفه الشهير «ضدّ الهراطقة».

من الواضح أنّ هذا المخطوط يرجع وبكلّ تأكيد الى الهرطقة الغنوصية. إنجيل يهوذا هو أيضا غنوصي وليس كتابا للكنيسة المسيحية. ترجع بدايات الغنوصية الى أواخر القرن الثاني للميلاد وهناك من يعتقد أنّ لها جذوراً قبل المسيح. «الغنوصية» هي كلمة يونانية الأصل تشتق من «غنوصيس» أي «المعرفة». والغنوصيون يتبعون عدة تيارات دينية وكلها تدّعي الخلاص من خلال «المعرفة»، معرفة مبدأ الحياة. وبما أنّ الغنوصية لا تعتمد على نصوص محدّدة، أنتجت نظريات دينية عديدة. وما يجمعها هو ثنائية في الكون بين عالم الروح، وعالم المادة الشرير. لهذا لم يكن الخلق عملا حسنا كما يقول الكتاب المقدس، بل عملاً شريراً: المادة، بما فيها الجسد، هي شريرة. والخلاص يكون بالمعرفة التي تحرر «العارفين» من المادة الى عالم الروح.

انبرى آباء الكنيسة لهؤلاء الهراطقة الذين رفضوا أساس الدين المسيحي وهو الايمان بالله خالق السماء والأرض. أكثر ما نعرفه عنهم، نجده في كتابات آباء الكنيسة. ولكن في منتصف القرن الماضي اكتشف العلماء بعض الكتابات الغنوصية في مصر ومنها هذا المخطوط الذي يحتوي على «إنجيل يهوذا».

قطعة من مخطوطة إنجيل يهوذا

إنجيل يهوذا هو إذا كتاب غنوصي يبرر ما قام به يهوذا، ولا يعدّه خيانة بل عملا ضروريا لنيل الخلاص الشامل. يرجع تاريخ هذا المؤلّف الهرطوقي إلى منتصف القرن الثاني بعد المسيح. أما المخطوط فهو نسخة من القرن الثالث أو الرابع بعد المسيح.

نظراً لكل هذه التفاصيل التاريخية والدينية لا يمكن اعتبار «إنجيل يهوذا» مهمّاً بالنسبة للبحث عن جذور المسيحية، لأنه

ليس له أية علاقة بإيمان الكنيسة الذي يعتمد على الأسفار القانونية للكتاب المقدس، وعلى التقليد الرسولي، الذي نجد أصفى مظاهره في كتابات آباء الكنيسة الذين شجبوا بقوة الهرطقة الغنوصية بأنواعها. فليس من إناجيل في الكنيسة سوى الأناجيل الأربعة: متى، مرقس، لوقا ويوحنا.

تبرير يهوذا

قبلة يهوذا

يعتقد الناشرون أنّ "إنجيل يهوذا" سوف يسلّط أضواء جديدة على شخصية يهوذا. ولكن يجب التأكيد على أنّ هذا المخطوط لا يمتّ الى الكنيسة المسيحية بشيء، لانّه مؤلَّف غنوصي ويبيّن أنّ يهوذا عمل بإيحاء من يسوع. في هذا المخطوط يقول يسوع ليهوذا: «إبتعد عن الآخرين وسوف أقول لك أسرار الملكوت ... سوف تفوقهم جميعا لأنك سوف تقدّم ذبيحة الانسان الذي يلبسني». في هذه الكلمات نجد مثلا واضحا للفكر الغنوصي الذي يحتقر الجسد والمادة، بينما يبرّر عمل يهوذا، التلميذ المستنير!

ما أبعد هذه الافكار عن العهد الجديد وتعليم الكنيسة. هناك الكثير من الشواهد الانجيلية التي تبيّن حقيقة يهوذا، منها قول يسوع في يوحنا (١٧ : ١٢):

«لمّا كنتُ معهم حفظتُهم باسمك الذي وهبته لي، وسهرتُ فلم يهلك منهم أحد، إلا ابن الهلاك. فتمّ ما كُتب».

«إبن الهلاك» هو من كان يميل الى الهلاك فكان بالفعل مسؤولا عن خيانة المعلم. في عظته يوم الخميس العظيم (١٣ نيسان ٢٠٠٦) أكّد قداسة البابا بندكتس السادس عشر أنّ يهوذا قام بتسليم المعلم بملء حريته فباعه بثلاثين من الفضة، كما كُتب في الأناجيل القانونية. قال قداسته: «هناك سر الرفض المظلم الذي ظهر في يهوذا يوم الخميس المقدس، في اليوم الذي وهب فيه يسوع ذاته. إنّه سر يدعونا للتفكير. محبّة الله ليس لها حدود، ولكن باستطاعة الانسان أن يضع لها حدا». وتساءل قداسته قائلا: «ما الذي يجعل الانسان غير طاهر؟» وأجاب: «إنّه رفض المحبة، أي يرفض الإنسان أن يكون محبوبا، وأن يحب. فهذه كبرياء من يعتقد أنّه ليس بحاجة الى تطهير، فيغلق ذاته أمام عمل الله الخلاصي. في يهوذا تجسّد هذا الرفض بشكل أكثر وضوحا. فاعتبر قيمة يسوع بحسب مقولات السلطة والنجاح: بالنسبة له، السلطة والنجاح أهم من الله ومن محبّته. لذلك أصبح كاذبا بعيدا عن الحقيقة. فتصلّب ولم يعد باستطاعته التوبة، توبة الابن الشاطر، فرمى حياته المحطمة». كلام قداسته بليغ يعبّر أفضل تعبير عن حقيقة يهوذا وخيانته.

من جهة أخرى يؤكد "التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية" أنّ موت يسوع يحقّق سرّ

مخطط الله الخلاصي، كما ورد في خطبة بطرس يوم العنصرة: «ذاك الرجل الذي أُسلِمَ بقضاء الله وعِلْمه السابق، فقتلتموه إذ علّقتموه على خشبة بأيدي الكافرين، قد أقامه الله وأنقذه من أهوال الموت...» (أعمال الرسل ٢: ٢٣-٢٤). كلام الكتاب المقدّس هذا، لا يعني أنّ أولئك الذين "سلّموا" يسوع (أعمال الرسل ٣: ١٣) هم مجرّد منفذّين لحدث كتبه الله مسبقا (راجع التعليم المسيحي رقم ٥٩٩). بل يبقى يهوذا مسؤولاً بالفعل عن عمله الذي وصفه العهد الجديد بالخيانة (راجع لوقا ٦: ١٦).

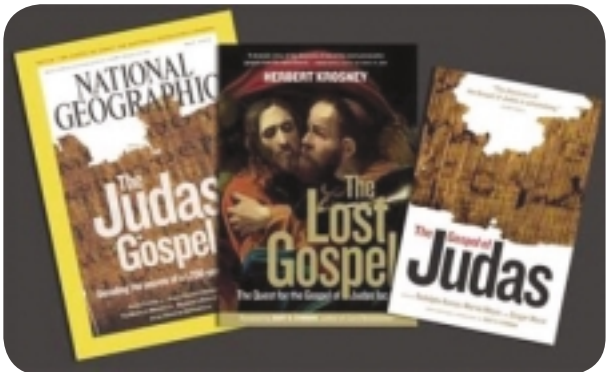

مخطوطة إنجيل يهوذا تستقطب انتباه وسائل الإعلام

خاتمة

إنّ اكتشاف ونشر هذا المخطوط لا يمكن أن يغيّر صورة يهوذا كما نعرفها في العهد الجديد وفي تعليم الكنيسة. يمكن أن يكون لهذا المخطوط أهمية تاريخية تساعدنا على فهم "الهرطقة الغنوصية" التي طالما حاربتها الكنيسة. هناك من يدّعي أنّ الكنيسة حاولت إخفاء هذا المخطوط وغيره من الكتب المنحولة. ولكن هذا الادعاء لا يمت الى الحقيقة بأية صلة، لانه باستطاعتنا الاطّلاع على الاناجيل الغنوصية في المكتبات الكاثوليكية. ولا يمكن للمسيحي أن يعتبر هذه الاناجيل ذات تعليم صحيح، كما أنّه ليس للكنيسة أية مصلحة في إخفائها.

اهتمّ الغنوصيون بشخصية يهوذا بالتحديد لانّ رؤيتهم للشر وأصله تختلف كلّيا عن رؤية الكنيسة. المسيحيون يؤمنون أنّ الله خلق الكون وما فيه وكان عمله كله حسنا كما يقول الكتاب المقدّس. والشر بمظاهره العديدة دخل العالم بسبب الاستعمال السيء للحرية، أي بسبب الخطيئة.

أمّا الغنوصيون فيتّهمون الله بالشر الموجود في العالم، لأنّه خلق الكون بشكل غير كامل، تسوده الفوضى. لذلك يعيد هؤلاء اعتبار شخصيات في الكتاب المقدّس أمثال قايين الذي قتل أخاه هابيل، ويهوذا الذي سلّم يسوع. شخصية يهوذا تدخل بشكل جيد في مقاييس الغنوصية التي تعتبر أنّ الله هو المسؤول عن دخول الشر الى العالم!

لا يمكن لله أن يكون سبباً مباشراً أو حتى غير مباشر للشرّ في العالم. بل ينير بمحبته سر الشرّ، بابنه الحبيب يسوع المسيح الذي تألّم ومات وقام من بين الأموات من أجلنا، لينتصر على الخطيئة والموت. فإذا سمح الله بالشر، يكون ذلك فقط ليحصل منه على خير أعظم. فمن أكبر شر في العالم، أي قتل ابنه على الصليب، حصل الله على الخير الأعظم: تمجيد المسيح وخلاصنا (راجع التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ٣١١-٣١٤ و٣٢٤).